من أدب المقاومة في الارض المحتلة

شيء عن الوطن

محمود درويش

هذا الوطن الصغير ، كقبضة اليد ، الواسع مثل كتاب الابد . هذا الرائع .. هذا الجارح والمجروح .. هذا الوطن ، هل يتحول الى سجن لابنائه ؟

لقد تمرس كثيرا ، بكل الاشكال والالوان . مات كثيرا ، وعاش كثيرا . اسماؤه تتغير ، واشجار تموت وتحيا . ونحن نعانقه عناق الموت ـ حتى الموت . ومن هذه الحقيقة الساطعة كالشمس والخنجر ، من هذا الانتماء المبدع ، نأخذ اسباب الخضرة : لنا وطن .

ومن داخل هذا العناق المتوهج ، نرى مرور الزوابع التي تنكسر على سواعدنا الملتفة حول هذا الوطن ، حتى لو اصبح سجنا ومنافي .

نحن مدعوون ، دائما ، وكلما غاص سكين في هذا العناق ، الى اعادة الاعتراف بالحب ـ القدر لكي نملك مزيدا من القدرة على الاستمرار في العناق .

ونحن لا نغني الان . ولكننا بهذا الاعتراف الشديد الشبه بالفناء ، نقاوم محاولة الايقاع بيننا وبين هذا الوطن الملتف على كل الاجساد الحية والميتة . بمزيد من الحب نتحدى التحدي . بمزيد من السخرية نقاوم . وبمزيد من الموت الراضي نقاتل كل محاولات اكراهنا على التراجع عن معانقة هذا الوطن .

نحن لم نبحث عنه .. عن هذا الوطن في حلم اسطوري وخيال بعيد ، ولا في صفحة جميلة من كتاب قديم . نحن لم نصنع هذا الوطن كما تصنع المؤسسات والمنشآت . هو الذي صنعنا . هو ابونا وامنا . ونحن لم نقف امام الاختيار . لم نشتر هذا الوطن في حانوت او وكالة . ونحن لم نتباه . ولم يقنعنا احد بحبه . لقدوجدنا انفسنا نبضا في دمه ولحمه ونخاعا في عظمه . وهو ، لهذا ، لنا . ونحن له !.

ولكن ، لماذا نقول هذا الكلام الان ؟

لم يشهد تاريخ اضطهادنا الطويل مثل ما يشهده الان ، من عنف وفظاظة في ملاحقة ابناء هذا الوطن . كلهم متهمون .. كلهم مهددون .. وكلهم مضطهدون . وحكومتنا التي تشغل نفسها في استصراخ العالم للتيقظ ازاء ما تعتقد انه ارهاب في أي مكان من العالم ، ومن اجل ان تعترف الدنيا كلها بأن هذا الوطن هو وطن كل اليهود ، لا تعترف بحق الذين غرسوا زيتونه ، وتمارس ضدهم احد اشد صور الارهاب عنفا .. وفي وطنهم . والعالم لا يدري كل شيء .

اننا نوضع ، الان خاصة ، امام هذا التحدي : اما ان تصفر اكتافنا ، وترتد جباهنا عن الشمس . واما ان نتنازل عن البقاء في هذا الوطن . ولكننا فرضنا تحديا آخر : البقاء والكفاح .

وبين هذا وذاك نمر في سلسلة طويلة من انواع السجون :

بأمر عسكري صغير يقال لنا : انتم .. لا يحق لكم الخروج من هذه المدينة او هذه القرية ؟.

وهذا سجن .

ويقال لنا ايضا : انتم .. لا يحق لكم الخروج من البيت منذ غروب الشمس حتى شروقها .

وهذا سجن .

ومتى يحلو للبوليس ، المزود دائما بامر قانوني من المحكمة، يجري عمليات التفتيش في بيوت الناس وحقائبهم وجيوبهم .. وفي رؤوسهم ايضا ، بحجة البحث عن **متفجرات .**

وهذا سجن ..

ومتى يحلو له ايضا ، يسوق العشرات والمئات التي غياهب المعتقلات بحجة التحقيق عن اسباب الاضطراب الامني ، وبدون حجة ..

وهذا سجن ..

وفي الايام الاخيرة ، طور الاضطهاد القومي أسلوبه : قرية كاملة مثل سولم ، يضرب الحصار حولها . وتمنع من التجول في داخل نفسها . وقرية سولم وما جرى لها هي بداية خطيرة تصلح لان تكون ناقوس خطر ، ونذيرا خطيرا بتصعيد الارهاب .

واذا استمر هذا التصعيد ، وبهذه الوتيرة ، فسيصبح من الطبيعي الحديث عن اعتقال شعب كامل .

وهذا فعلا سؤال :

هل تريد حكومة اسرائيل ان تسجن كل العرب ؟ وهل تريد تحويل هذا الوطن الى سجن ؟

ان منطق الشك والارهاب الذي يوجه خطى الحكومة يوصلها الى وضع مثل هذا الاحتمال : اقامة المزيد من معسكرات الاعتقال !.

ولكن ، هل هذا الاعتقال الجماعي يضمن لها ما تريد ؟

وهذا ، فعلا ، سؤال :

ماذا تريد منا ؟

قراءة في وجه حسيبتي

.. وحين أحدّق فيكِ
أرى مُدناً ضائعه
أرى زمناً قرمزياً
أرى سبب الموت والكبرياء
أرى لغة لم تسجّل
وآلهة تترجل
أمام المفاجأة الرائعه !
.. وتنتشرين أمامي
صفوفاً من الكائنات التي لا تُسمى
وما وطني غير هذي العيون التي
تجعل الارض جسما ..
وأسهر فيك على خنجر
واقف في جبين الطفوله :
هو الموت مفتتح الليلة الحلوة القادمه
وأنتِ جميلـه
كعصفورة نادمـه !
وحين أحدّق فيك
أرى كربـلاء
واثيوبيـا
والطفولـه
واقرأ خارطة الانبياء
وسفر الرضا والرذيله
أرى الارض تلعب
فوق رمال السماء
أرى سبباً لاختطاف المساء
مـن البحـر ..
والشرفات البخيله ! ..

مجلة « الجديد » العددان ٩ و ١٠ — **محمود درويش**

ان كل ما تقوم بـه يجري بذريعة الردع الوقائي لحفظ الامن . ولكن ، هل العرب في اسرائيل مسؤولون عن تزعزع الامن ؟. هذا السؤال يجب ان يدرسه ، بعمق وجدية ، اولئك الخبراء بالشؤون العربية . ولكن ، هـل يجرؤون على الاعتراف بأن احتلال اراضي الاخرين ونهب حقوق الاخرين هو السبب الاول والاخير لما يسمى بالقلق الامني ؟.

ان التحقيقات الواسعة التي تجريها الشرطة واجهزة المخابرات مع مئات المعتقلين تتركز في نقطة واحدة : الانطلاق من ان كل عربي مشتبه به ومتهم ومحاولة وضع جميع العرب في اسرائيل في خدمة الشرطة وابتزاز وعد منهم بالتعاون السياسي معها . وقد لاحظنا اثناء وجودنا في الاعتقال بان اتهامنا في عمليات التفجير لـم يكن الا غطاء للانتقام السياسي من ناحية ، ولشراء بعض الضمائر من ناحية اخرى .

ولكن ، لماذا يصعدون الارهاب ضـد العرب في اسرائيل الان ؟

علينا ، اولا ، ان نلاحظ ان هـذا التصعيد صدى تعيس لوضع الاحتلال التعيس في المناطق العربية المحتلة بعد الخامس من حزيران . والرابطة بين ملاحقة العـرب في اسرائيل وبين تصاعد المقاومة فـي المناطق المحتلـة وفشل الاحتلال في كسب رضى الشعب المحتل ، اصبحت علاقة عميقة لا مجرد تقدير . وهكذا، تترك سياسة الحرب والاحتلال احدى نتائجها الخطيرة علـى الداخل . وعلـى الجماهير اليهودية ان تدرك انها لن تبقى بمأمن من آثـار هذه السياسة ، خاصة ان النضال السياسي الذي يشنه العرب في اسرائيل ضد الاضطهاد القومـي وضد الحرب والاحتلال متلاحم بنضال القوى التقدمية اليهوديـة ضد هذه السياسة .

وعلى حكومة اسرائيل ان تدرك انهـا ترتكب خطأ فادحا اذا اختارب العرب في اسرائيل كبش فـداء لفشل احتلالها ، واذا استمرت فـي معاملتهم بمنطق الرهائن . كلا !. لسنا رهينة في يدها تقاوم بنـا مقاومة الاحتلال . ومعاملتها لنا تقدم دليلا قويا على كذب دعواها القائلة انها تسعى الى تحقيق السلام او انهـا تستطيع تحقيق السلام مع الشعوب العربية على اساس الامر الواقع . لقد عجزت هذه السلطة عن تحقيق السلام مع اقلية قومية منذ عشرين سنة ، لانها حرمتها حقوقها القومية واليومية ولا ادل على احتقارها لهم من مطالبتها اياهم بمنحها ضك غفران عـن عدائها ، في كـل انتخابات ، وتهديدها الوقح مـن ان انتخابهم الشيوعيين سيلحق بهم افدح الاخطار . وعلـى ذلك ، فان السجان العاجز عـن ابتـزاز ولاء السجين ومبايعته وكسب رضاه ، عاجز ايضا عـن ارغام شعوب كاملة على الاستسلام . ان استمرار العنف ضد العـرب في اسرائيل ينسف كثيرا من الجسور ويؤدي الى اخطار يجب ان تحسب السلطة لها حسابا .

لقد اختار العرب فـي اسرائيل طريـق نضالهم السياسي ، بالخبرة الطويلة والممارسة القاسية . وهـم باقون في هذا الوطن لانه وطنهم . ولـن يزيدهم عنصر التحدي الا سببا جديدا للبقاء . والبقاء والاصرار عليـه

في مثل هذه الحالة ـ ليس تعلقـا جماليا ورومانتكيا بمهد طفولة ، ولكنه معركة نبيلة .. معركة مشروعة يجب ان يصل صداها الـى الـرأي العام اليهودي والعالمي . فحذار من دفعهم الى اليأس، لان اليأس سيف ذو حدين!.

ولو تحول هذا الوطن الصغير ، كقبضة اليد ، الـى سجن ، فسنبقى على حبه لانه وطننا . وان مـن صـار سجنه وطنا او وطنـه سجنا لخيـر ممن يجعل الاحتلال وطنا لـه !.

ويا ايها الوطن الذي نرى اشجاره وحقوله وهضابه عبر الاسوار ـ لقد صرت اجمل !..